

أكاديمي يلتمس خلاصا للجزائر

عبدالعزیز جراد

الوزير الأول ومهمته المستحيلة



أبوبكر زمال
كاتب جزائري

ما إن تم الإعلان عن اسم الوزير الأول، عبدالعزیز جراد، حتى تقاطرت التحليلات وهلت الأصوات من هنا وهناك في عموم الجزائر، بين رافض ومتعجب ومبارك وساخط ومتقرب وفاهم. وضجت مواقع التواصل الاجتماعي بالأخبار الكثيفة والكثيرة الصادقة والكاذبة عن سيرته ومسار الرجل من النشوء إلى الارتقاء. من معصية السلطة إلى خراج لعنتها. من بطل ومغوار في الاستراتيجيات والجيوپوليتيكا إلى صاحب كفاءات عالية. من الرجل المناسب للمرحلة وسيدھا إلى رجل التفاهات الذي سيصلح ما تكسر وضاع وفسد. من أمل بعودة الثقة بين الحاكم والمحكوم، بين الراعي والرعية، إلى ساد ليديه وفاتح لئراعي للجميع دون تمييز بين فضيل وآخر، بين معارض وموال، بين إسلامي وعلماني، ليبرالي واشتراكي وغير ذلك الكثير.

التعيينات الملتبسة

كان وقع إعلان التعيين، الذي سئلته تعيينات أخرى أكثر غرابة وستثير علامات الاستفهام، مفاجئا وسريعا على غير العادة. فمثل هذه التعيينات كانت توزن في بورصة الهمس والتكهنات والتسريبات والمغالطات والقبيل والقال.



الجزائريون في ما مضى من عمر دولتهم، كانوا لا يولون الكثير من الأهمية للمناصب العليا فيها، لقناعتهم أن تلك المناصب لن تخرج عن فلان وفلان وعلان عمره أو قصر، تخضع لمنطق التدوير من منطقة إلى منطقة

الجزائريون في ما مضى من عمر دولتهم، على الأقل حتى شهر فبراير بداية الحراك، كانوا لا يولون الكثير من الأهمية للمناصب العليا فيها، لقناعتهم أن تلك المناصب لن تخرج عن فلان وفلان وعلان عمره أو قصر، تخضع لمنطق التدوير من منطقة إلى منطقة. خاصة منطقة الشرق الجزائري والتي ينحدر منها الوزير الحالي جراد المولود بتاريخ 1954 بمدينة خنشلة. فقد بقي نفوذ الشرق الجزائري سائدا ومهيما وسيطرا على مفاصل الدولة من أعلى هرمها إلى أسفلها، يصنع القرار والمصير بين يديها وفي ظلها، حتى مجيء بوتفليقة أين قلب المعادلة وأصبح الغرب ممثلا خاصة

بمدينة تلمسان مسقط رأس الرئيس هي صاحبة الحل والربط في الدولة. تكاد تكون هذه التعيينات حكرا على نموذج وحيد أوحد وثابت، حتى أن بعض المواقع شبيهت جراد بالوزير الأول السابق المسجون أحمد أويحيى، في الشكل والمظهر وحتى في طراز النظارات. هو نموذج للمسؤول، طبع، وفي، خدوم، ومتوازن، لا يلفت، ولا يقرر، ولا يخط على الطاولة، ولا يعارض، ولا يناقش، ولا يحتج دون أن يأخذ الإذن ممن هم أعلى منه مرتبة في سلم الحكم، خاصة من طرف العسكر وتحديدا من المخابرات.

مرحلة تغيير الرموز

اجتهدت وسائل الإعلام الرسمية التابعة للرئاسة عبر برقية في تقديم سيرة ناصعة للوفد الجديد إلى الوزارة الأولى، فهو أكاديمي ودبلوماسي سابق، استاذ جامعي في عدد من الجامعات الجزائرية والخارجية، حياته المهنية الطويلة حافلة ومتميزة، أهلته لشغل مناصب حكومية هامة، من أبرزها عمله أمينا عاما لرئاسة الحكومة الجزائرية بدايات التسعينات من القرن الماضي، خلال حكم الرئيس الجزائري الأسبق لييامين زروال، وقبلها عمل أيضا في منصب مستشار في الرئاسة. وقد ساهم جراد، قبل ذلك، في تكوين كوادر الدولة الجزائرية وجهازها الإداري عندما كان مديرا للمدرسة الوطنية للإدارة، كما شغل مديرا عاما للوكالة الجزائرية للتعاون الدولي، ولم يتم حذف معلومة المنصب الذي تولاه خلال حكم الرئيس السابق عبدالعزیز بوتفليقة وهو منصب أمين عام وزارة الخارجية، وبالطبع أشير إلى أنه كان قد ألف عددا من الكتب في الجيوپوليتيكا والاستراتيجيات السياسية والعلاقات الدولية وغيرها من المواضيع.

بين قبوله مهمة الإشراف على تشكيل الحكومة ووجهها وتصريحه الذي قال فيه عقب خروجه من مكتب الرئيس تبون "تحسن اليوم أمام تحد كبير من أجل استرجاع الثقة في مجتمعنا"، وتاكيد على ضرورة "العمل سويا مع كفاءات الوطن وإطارات البلاد والمواطنين والمواطنات من أجل رفع التحديات الاقتصادية والاجتماعية والخروج من هذه المرحلة الصعبة"، وبين تصريحاته السابقة التي نشرت هنا وهناك والتي اصطبغت من خلالها وراء الداعين إلى "مرحلة انتقالية تعتمد على تغيير الرموز، وتعيين لجنة سياسية لتسيير هذه المرحلة، ووضع خارطة طريق تحدد أجدتها، ومدتها بسنة أشهر"، و"ضرورة رحيل رموز النظام السابق"، وغيرها من الأقاويل والحكم والمأثورات، تعطي قراءة أولية عن شخصية الوزير الأول ورؤيته القادمة، فهو يعرف جيدا أن هناك حراكا مستعصيا وشارعا بات مفتوحا على كل الاحتمالات والتوقعات. فهو يرفض كل مالات السلطة وما قامت به لحد الآن،

حتى ولو كانت هذه السلطة الآن مثلما يتريد شرعية وبرئيس منتخب، وما يتم الترويج له من قدوم الوزير جراد من قلب الحراك يعرفه جيدا ومختبرا قلاقله ورغباته وطموحاته، وما يقوله هذه المهمة الشاقة المكلفة إلا ليسهم في حلحلة هذا الضيق وهذا الأفق المسدود.

تقلبات وتجاذبات

للسياسة بريقها ولعناها وإغواءاتها وظروفها ومتغيراتها ومواقفها، وهي بكل الأحوال سياسة تجترح المناورة والتعديلات في الموقف والرأي والتقدم بخطوة هنا وتأخيرها هناك، وهي تكتيكات سيلجا إليها جراد صاحب البصيرة في فهم التقلبات والتجاذبات والصراعات وموازين القوى، سيلعب أولا في ملعب السلطة التي يعرفها جيدا حيث كان ضمن طاقمها النافذ في سنوات الأوهال والدم والإرهاب، ومن بعدها في سنوات الصلح والمصالحة والاستقرار، وبالمقابل سيجاول أن يُنصت إلى الحراك وسيعمل على بناء جسر عال وصلب من الثقة معه.

إلى أي درجة يمكن لجراد أن يجسد نمونجا مختلفا من الحكام الذين تقلدوا مناصب القرار في الجزائر، وهل فعلا يمكنه أن يخلق الفرق والتنوع والتميز مثلما يروج لذلك، نظرا إلى كفاءاته العلمية الكبيرة والتي يتم الإشادة بها بقوة عبر كافة الوسائل الاتصالية، بدهشة أحيانا وبغرابية أحيانا، وبفخر واعتزاز، وينشوع من الحيرة، وكان الجزائريين يكششون لأول مرة في حياتهم شخصية علمية، سابقة على زمنها، ومتفوقة، وخارقة للعادة.

في ظل راهن معقد كراهن الجزائر، كل شيء يمكن أن يكون ملجا، ومفازات، وأطواق نجاة، وبحار أمان، قد يبحث الجزائري في الوزير الأول عن أخطائه وزلاته وعثراته، وقد تخرج له تصريحات كثيرة متوفرة عن دعمه لترشيع بوتفليقة العهدة الخامسة، وقد تبنت انتماؤه الحزبي إلى جبهة التحرير الوطني المغضوب عليه من الحراك، وقد تنشر معلومات خاطئة أو صحيحة عن شراكات تجارية بين أبنائه وأبناء الرئيس تبون، وقد يتصور في المستقبل واجهة الأحداث، ويكون عرضة لانتقادات الحادة خاصة بعد أن تعرف تركيبة حكومته وهل هي فعلا ستكون شبابية مثلما صرح به الرئيس تبون؟

كل شيء جائز، فالرجل قد دخل دائرة الضوء بعد أن كان تجسيدا فعليا للرجال الذين كانوا يشغلون في الخفاء والستر، ولا يعرف لهم أي دور علني واضح في سرايا الحكم سوى ما يرشح كقطرة ماء، لذا كانت مفاجأة تعيينه وإخراجه كما يقال من خزنة الانتظار والالتوقع والالاحسابات الكثيرة التي تأتي من لدن الكل؛ ساسة وإعلاميون ومهتمون ووشاة وذباب وقناصة وفاعلون وكومبارس، مفاجأة تعاملت معها الدوائر والأوساط



والوساط كل حسب مقامه ورؤيته وفهمه لما يرمع فعله الرئيس المنتخب

بهذا التعيين الذي ستظهر نجاعته خلال أيام وما سيقرب من هذا الاختيار.

كلمات سحرية

العنوان العريض الذي صدر به جراد تصريحه الأول لوسائل الإعلام هو كلمة "الثقة". أما الواقع اليوم ففي محنة كبيرة. السلطة في حرج دائم، والشاعر مكفهر الوجه لا يعترف. قال إن النظام يجسد جلد ويلمعه، وما جراد إلا واحد منه، واجهة براءة لجل كامل حكم الجزائر وأسرها بين يدي مجموعات العشرين الماضية إلى عصابة أكلت ونهبت وأفسدت وخلخلت نسج المجتمع وأصبح يكفر بها ليل نهار، لا يلوي على شيء، وانتفض ضدها في 22 فبراير، كاسرا الخوف والعجز والخنوع، وما تبقى من هواء الثقة التي ستكون محل خطاب وهم ومسؤولية جراد، تبدد في السماء وغاص في الأرض.

يلزم جراد، كما يقول المتبعون، معجزات مبتكرة ليحسن الحفر ويسترد ما غاص في أعماق السرايب والأنفاق والمتاهات. يدرك أن الحراك هو الخط الفاصل الذي سيمكته من عبور المجاهيل التي تربص بالجزائر، واحتمالات الفضل قائمة كما احتمالات النجاح، وما لم يتمتع بخيال فذ للتعامل المتعدد مع هذا الحراك المتوحد على صوت واحد، صوت

الرفض والسخط، فلن يكون بمقدوره التقدم أو حتى النظر إلى المستقبل، ومهما كانت مغريات الحلول التي يمكن تقديمها إلى بعض رموز الحراك أو للحراك نفسه فلن يكون كافيا.

إعادة الثقة لا تأتي من مكاتب فاخرة أو من شاشات التلفزيون أو من وراء الحساب. الثقة تأتي بالاحتكاك مع هذا الجيل الذي ينزل كل ثلاثاء وجمعة إلى الشارع مفترشا الأرض وملتحفا السماء.. ولما نقول الاحتكاك يعني التماس والأخذ باليد والسماع بالأذنين.. هكذا يقول الأكاديميون الحقيقيون وليس أولئك الذين دسوا في ثناياها التخاطب والمصالح والائانيات المفرطة في البشاعة وحب الظهور.

الوزير والشارع المتحرك

لن يعود الشارع إلى البيت في القناعة الوحيدة الآن لا غيرها التي يتمتع بها الحراك، وجراد، كما يقول أحد الخبراء، عليه تقنية الصوت والصورة، والتقرب أكثر من الواقع، فجراد الأكاديمي والأستاذ والمحلل غير جراد الوزير الأول، سيختلف الأمر؛ في الجامعة والتظهير والتحليل. في الوزارة التطبيق والتنفيذ. أسئلة الحراك في الجامعة هي أسئلة الثورة والانتفاضة والأحلام والتغيير. في الوزارة هي البحث عن الأجوبة والحلول والخلاص. الحراك في الجامعة هو؛ كيف يمكن أن يستمر لتحقيق أهدافه وروحه. وهو في

الوزارة؛ كيف نستثمره لخلق جبل واع بالتحديات ومقبل على المستقبل. القلق الموجود في الشارع مفيد لكي يطلق الوزير الأول خططه وتصويراته، ويثبت نجاعته وصديقه وحداقته رؤاه وصواب تحاليله العلمية المثورة في المجالات والكتب. هذا ما يقوله زملاؤه الأساتذة وهم يفخرون بهذا المنجز الذي حظيت به مهنتهم عن طريقه، ووصولها إلى هذا المستوى والرتبة في صناعة القرار بعد عقود من النبذ والإقصاء والتهميش الذي عانت منه النخبة الجامعية من طرف الساسة وأصحاب الحل والربط. وهو تحد صارخ لقياس مدى قدرة وقوة الأكاديمي في تسير دفة المجتمع من البوابة الواسعة للحكم.

هل سيكون الوزير الأكاديمي شريكا فاعلا في استكمال مشروع بناء الدولة الجزائرية التي تعثرت ولققت لها أساسات بنيان متهاو، يترخ ويكاد يسقط من هول الصدمات والمكائد والذسائس التي وقعت ضدها المؤسسة العسكرية وخيرة أبناء هذا البلد؛ دسائس حالت دون أن يتمكن المجتمع من النهوض والرقى. سيكون جراد في مواجهة هذا الامتحان الصعب والشرس وغير قابل هذه المرة للتراجع للوراء، فالشارع يوشك على الانتفلات والعصيان والغضب، والحدود مقلبة بالغليان والنار، والاقتصاد مهلهل، والجزائر كلها بما فيها وعليها مفتوحة على لحظة مجهولة غامضة قد تجرأها إلى الهاوية والانتحار.



● إعلان تعيين جراد سئلته تعيينات أخرى أكثر غرابة، وستثير علامات الاستفهام العديدة. وقد جاء مفاجئا وسريعا على غير العادة. فمثل هذه التعيينات كانت في الماضي توزن في بورصة الهمس والتكهنات والتسريبات.

● الوزير الأول الجديد سيلجا إلى تكتيكات صاحب البصيرة في فهم الصراعات وموازين القوى، وسيلعب أولا في ملعب السلطة التي يعرفها جيدا، وبالمقابل سيجاول أن ينصت إلى الحراك.